الإصلاح السياسي عند الشيخ مد رشيد رضا

مد خروبات *

مقدمة: الإشكال العام للموضوع

ا ديث عن السياسة الشرعية عند رشيد رضا هو حديث لي حقيقة الإصلاح السياسي فكره، كما لي حقيقة السياسة الشرعية نفسها وذلك بإبراز خصائصها ومقوما ا ومقاصدها، ناهيك مِن مصادرها ومراحلها التار ية، وهذا كله أو بعضه هو الذي يكشف عن مرتكزا ا إصلاح أمور البشر، ومع رشيد رضا تتبلور مفاهيم هذه السياسة، ويتحرك ال التنظ لأمورها العامة لا سيما **الأحكام الشرعية العملية** ال تنتظر ا ياة بسريا ا واقع الأمة ... ومن هنا فا ديث هذا ا وضوع هو حديث عن كل شيء دعوة الإصلاح عنده. فهو فكره -ر ه ا - يذكره سميات متباينة لكنها لا تش إلا إ مع واحد وهو ا ع الذي قصدناه **بالسياسة الشرعية**، فتارة يسميه بـ**"الإصلاح الإسلامي وا دي ا مدي"**[1] وتارة أخرى يسميه بـ**"الشرع الإسلامي والإصلاح ا مدي"**[2]، وأحيانا يطلق عليه **"الإصلاح ا مدي العظيم"**[3]، وأحيانا أخرى ينعته بـ**"الإصلاح الإسلامي ا مدي"**[4]، واقرب نعت إ مع مصطلحنا السابق هو النعت الذي استعمله سياق كلامه عن العروة الوثقى ال استمد منها توجهه السياسي ا باشر، والذي اه بالإصلاح الإسلامي العام، يقول: "وأك أثرها

---

* دكتوراه دولة في علوم السنة النبوية، جامعة القاضي عياض بمراكش 1998، أستاذ بكلية العلوم والآداب بنفس الجامعة.

1 رضا، محمد رشيد. **حقوق النساء في الإسلام**، بتعليق ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي بتاريخ 1404 هـ الموافق لسنة 1984م، ص: 148

2 المصدر السابق، 149.

3 المصدر السابق،ص: 201.

4 المصدر السابق، ص:109.

عندي -أي العروة الوثقى- أ ا هي ال وجهت نفسي الإصلاح الإسلامي العام"[5]. عاش رشيد رضا فترة عصيبة من التاريخ، فا لافة الإسلامية ا ركزية إسطامبول تنهار شيئا فشيئا، وا كم العثما قد تقهقر الأقاليم والولايات، والاستعمار بدأ يعم العا الإسلامي كله، و اولة ابتلاع أرض فلسط واغتصا ا تس طى طة، و اذل الأمراء والولاة وا كام القيام بالواجب قد عم وطم، وشاعت الدسائس وا ؤامرات وا يانات، وتفاقم الوضع الداخلي با روب ا ستمرة ال غ ت من خريطة العا الإسلامي ... أدت كل هذه العوامل إ تبدد وحدة ا سلم وتشتت كلمتهم و زيق جغرافيتهم ال كانت موحدة، وقد تبع هذا تغي العقليات، وتغي أحكام الإسلام، هذا هو ا و الذي تنفس فيه رشيد رضا، وهو جو مكنه من أن يعي موقعه كمصلح، جو جعله س بأنه إنسان ما وجد داخل هذه الأزمة العارمة إلا للإصلاح، إصلاح الوضع الداخلي صر صلة الشعب بالسلطة ا لية، و صلة السلطة ا لية والشعب بالاستعمار الإ ليزي، و صلة مصر بأطرافها كاملة بالسلطة ا ركزية الأستانة، و صلة مصر بكل الأقطار العربية ال تتحرك لأجل الانفصال كلبنان وسوريا وغ ا، هناك قضايا أحزى تبدو أكثر أ ية وحدة الصف و الشمل وهي التأليف ب مكونات ا تمع ا صري كفئات النصارى وا علم ا دراس التبش ية، وفئات طلاب العلم فيها، وفئات طلاب العلم الشرعي الأزهر، والتوفيق ب الفئة ا سلمة التركية ا تمردة على السلطنة العثمانية والفئة العربية ا سلمة ال لص بعضها للسلطنة وبعضها واقع مهاوي الفئة التركية ا تمردة، كل هذه قضايا باشرها من موقع الإصلاح، ولذلك ختم إحدى مقالاته ا نار بقوله تعا من سورة هود (88): "**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا با** "[6].

---

5 العدوي، إبراهيم أحمد. **رشيد رضا الإمام المجاهد**، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة ص: 77. ويسميه ايضا بـ""الإصلاح المحمدي العام "، وهو الموضوع في عنوان كتابه **حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام**. تقدم.

6 **المنار** – المجلد 12 – ج12 – يناير من سنة 1910- مقال بعنوان: "العرب الترك: واعتصموا بحبل ا جميعا ولا تفرقوا".

عناصر ا وضوع:

سنحاول هذا البحث أن لي حقيقة الإصلاح السياسي العام عند رشيد رضا الذي يتم وفق مرتكزات السياسة الشرعية ال هو شيخ فيها، وذلك من خلال ث العناصر الآتية:

أولا: ا ؤهلات ال ساعدته على خوض غمار الإصلاح السياسي، وهذه ا ؤهلات تبدو واضحة عمله السياسي، إذ بدونه يقع التقص هاته ا هة أو تلك.

ثانيا: لة ا نار ال أطل ا على الواقع بعين الفحص والس ، ودورها إيصال كلمة "الإصلاح" إ العقول والقلوب، وسيبقى رشيد رضا حيا ساحة الإصلاح ما بقيت أفكاره الإصلاحية لة ا نار.

ثالثا: موقعه من الظاهرة الإصلاحية العامة، فرشيد رضا هو امتداد طبيعي هود سابقة، وصوته الإصلاح السياسي هو جزء من أصوات كث ة ومتعددة الا اهات وا شارب، فلا بد من ديد موقعه منها، وبيان مواقفه من تباينا ا واختلافا ا.

رابعا: ما السياسة الشرعية ال خاض غمار الإصلاح السياسي من منظورها؟ ما درجة علمه ا وفقهه فيها؟ كيف ذاد عن حوضها؟ وكيف عا سلبيات العامل حقلها... ؟ ا واب على هذه الأسئلة يتضمنه هذا العنصر الذي يوضح ا قاصد ال نرمي إليها ث ا وضوع.

خامسا: ولية الإصلاح عنده وعموميته، و ا عنصران من عناصر الشريعة الإسلامية، وخاصيتان من خصائصها، ومن خصائصها على ا ملة العناية بالضرورات ا مس وهي ا افظة على النفس والعقل والدين والنسل وا ال، لذلك فجل القضايا ال دعا إليها إصلاحه السياسي تدخل الضرورات ا مس.

سادسا: السياسة ال تكلم فيها هي السياسية العامة، السياسة ال لا تستثن قضية من القضايا سواء أكانت لية أم عا ية، داخلية أم خارجية.. غ أن الكلام سياسة من هذا النوع يتطلب ا كمة والبص ة، وهذه هي ال تضفي على الفكرة السياسية طابع التوازن.

سابعا: ا وضوعات السياسية ال تكلم فيها، هي موضوعات تدل على صلته بالواقع، وحسن فقهه لقضاياه، فا وضوعات هي من صميم مشكلات الأمة ذلك العصر مثل: ا لافة والشورى والثورة والاشتراكية، وهناك موضوعات أخرى كث ة مثل الربا والتجارة والثروة وا ال والدعوة إ إصلاح التعليم واللغة العربية ا فيه وضع ا دارس التبش ية ا رة وقضية حقوق ا رأة والصحافة ... لكننا عدلنا عن الكلام فيها وابقينا على ما له صلة بـ"**الإصلاح السياسي**".

أولا: مؤهلاته العمل السياسي:

هناك مؤهلات ساعدت رشيد رضا على شق طريق الإصلاح العام، وأثرت توجهه الفكري السياسي الشرعي، نذكر منها سبعة مؤهلات، وهي كالآ :

1. نسبه إ آل البيت، فهو ينتمي إ فرع ا سـ بن علي بن أ طالب، وكان يلقب نفسه بـ"ا سي "، ومعلوم أن أصول السياسة الشرعية إ ا تد سنة الن عليه السلام وآل بيته الأطهار وصحابته الراشدين الأخيار، وهذه مزية انعكست على أسرة رشيد رضا ال اشتهرت بالرئاسة الدينية، فقد عهدت رئاسة بيت "آل الرضا" إ والده علي الرضا، وهذا لي حقيقة أخرى وهي أن دعوته إ الوحدة بـ ا ذهب الشيعي والسـ إ ا ت من موقع جدارة انتسابه إ أصول ا ذهب .

2. ورثت أسرته -ابا عن جد- ا نـزلة الرفيعة، وحب الكرم وحسن الضيافة ولطافة الاستقبال، كما ورثت ا يبة والتقدير والاحترام والشرف عند السلاط وولاة الأمور، فقد عاصر عصر السلطان العثما وحيد الدين خان الذي كان يبعث إليه بـ اءات، وهذه ال اءات السلطانية تسلسلت من سلاط بـ عثمان إ آل بيت رشيد رضا، كان آخرها ال اءة السلطانية لوحيد الدين ال كانت قبل ا رب العامة[7]

3. العلم الشرعي الذي ضرب فيه بسهم وافر، فقد كان ر ه ا جامعا لعلوم الشريعة كلها، در بنا أن نشبهه بعباقرة الإسلام الكبار من أمثال الشافعي والغزا

---

7 أرسلان، شكيب. **السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة**، دمشق. 1937، ص 24



والسيوطي وابن تيمية وابن القيم ... ومعلوم أن من لا حظ له من علوم الإسلام الأساسية لا حظ له إصلاح الأمة وتوف رغبا ا والتعب عن حاجا ا الك ى.

4. التقوى والورع والزهد وكرم النفس والعزة والإحجام عن ا عاصي والإقدام على فعل ا ، لا نعلم - حدود ما نعلم- أن أحدا غمزه أخلاقه، أوتكلم ورعه وتقواه.

5. التفتح والتسامح، و ا دعامتان أساسيتان للسياسة الشرعية، فأية سياسة ليست متفتحة هي سياسة مغلقة على نفسها، لا من انغلاقها سوى العصبية والعرقية وا ركزية، وأية سياسة ليست متفتحة فهي عدوانية وقاتلة، ولا كن لأية سياسة هذا نوعها أن الوجود، وإذا كانت هذه خاصية من خصائص السياسة الشرعية فهي خصلة أساسية ا فكر الإسلامي السياسي، وكان رضا على هذه ا صال، يب لنا ذلك فيقول: "إن منذ دخلت سن التمييز أرى دارنا وجهاء النصارى من طرابلس ولبنان، بل أرى فيها القسوس والرهبان، ولا سيما أيام الأعياد، وارى الوالد املهم كما امل من يزوره من ا كام ووجهاء ا سلم ، ويذكر ما يعرف من اسنهم غيبتهم بكل إنصاف، وقد كان هذا من أسباب دعو إ **التساهل والوفاق وتعاون يع أها البلاد**"[8].

6. سعة اطلاعه على ا صادر الأجنبية، وهذه ا صادر ما كان فيها مفيداً أقره وب حكمه عليه، وما كان الفا للمعقول وا نقول رده وعلق عليه[9]، نذكر على سبيل ا ثال لا ا صر كتاب "ا لافة" **لس ويليام موير** ا طبوع سنة 1924م وهو ا صادف لسقوط ا لافة تركيا، وكتاب "الإسلام"، للأستاذ **أوجيست مولر**[10]، وكتاب " مد

8 العدوي، إبراهيم. **رشيد رضا الإمام المجاهد**، ص22. والتساهل الذي يذكره الشيخ هنا ليس من النوع الاعتباطي ولا الوفاق من النوع السلبي، وذلك أن دليله في التساهل ومرشده إلى الوفاق هو الشرع وأحكامه.. فبقدر ما كان متساهلاً ومتسامحاً وداعياً إلى التأليف والوفاق بين الأديان كان مناظراً لهم بالحجة الشرعية، فاضحاً لشبه النصارى وعقائدهم المدخولة، وقد ألف في نقدهم كتابا بعنوان: **شبهات النصارى وحجج الإسلام**، صدر عن مطبعة نهضة مصر – الطبعة الثالثة – 1375هـ /1956م.

9 راجع ردوده على المستشرق "موير" في كتابه: **أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م، ص:75 و139.

10 رضا، محمد رشيد رضا. **أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين**، ص:198.

وخلفاؤه"، للأستاذ **واشينجتون إيفرنج**[11]، وغ ذلك، و ا هو جدير بالانتباه هو أنه كان يطالع بعضها باللغة الإ ليزية.

7. تأثره الفكر السياسي برجلا كان ما اثر كب حياته السياسية، ا:

أ. ال الدين الأفغا : (1838م – 1896م) [12]، هذا الرجل شغف برأيه وأحبه حبا شديدا وإن يره، ومعلوم أن توجه هذا الأخ هو التوجه السياسي الذي ثل ا سائل الآتية:

- بث الروح الإسلامية الشرق ح ينهض بثقافته وعلمه وتربيته وصفاء دينه وتنقية عقيدته من ا رافات، و رير أخلاقه ا علق ا من الرذائل والأمراض مع استعادة والعزة والكرامة.
- إصلاح حال الدولة القائمة أوالثورة عليها إذا اقتضى ا ال وإن كان ا يار الثا هو ا يار ا فضل خيار الثورة لأجل التغي .
- مناهضة الاحتلال الأجن ح يعود الاستقلال إ الأقطار الشرقية، وعلى الدولة العربية أن ترتبط فيما بينها برباط ما لتتحدى الأخطار ا دقة ا.[13]

لقد عرف ال الدين بالسياسة وبالعمل السياسي أكثر من أي اهتمام آخر، وقد وصفه بذلك تلميذه ورفيقه الكفاح مد عبده فقال : "وكان قادرا على النفع العظيم بالإفادة والتعليم، لكنه وجه كل عنايته إ السياسة فضاع استعداده هذا"[14]

ب. **مد عبده:** (1845م – 1905م)[15]: يقولون إن توجه مد عبده إ ا هو توجه إ الإصلاح التعليمي والتربوي فحسب، وهذا غ صحيح، فتوجهه إ التربية والتعليم

---

11 المصدر السابق.. ص:22- 23.

12 الصعيدي، عبد المتعال. **المجددون في الإسلام: من القرن الأول إلى الرابع عشر**، ترجمة الأفغاني، القاهرة: مكتبة الأهرام، 1996 ص370-373.

13 أمين، أحمد. **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**،– بيروت: دار الكتاب العربي، ص:106 – 107.

14 درينقة، محمد أحمد. **السيد محمد رشيد رضا: إصلاحاته الاجتماعية والدينية**. بيروت: مؤسسة، 1986، ص26.

15 الصعيدي، عبدالمتعال**. المجددون في الإسلام** ص399 - 405

إ ا جاء من الإصلاح السياسي الذي قضى فيه عمرا طويلا بصحبة شيخه الأفغا ، وكان يصدر معه لة "**العروة الوثقى**" ال تضمنت دعوات كث ة إ الإصلاح السياسي[16] وعن طريقها تعرف رشيد رضا على حقيقة هذا الإصلاح، غ أنه يشرع فيه عمليا إلا بعد موت شيخه مد عبده الذي غ توجهه الإصلاحي ا راحل الأخ ة من عمره، وبالضبط ا دخل القاهرة عام 1883م.

كان الإصلاح السياسي عند "عبده" من الأولويات ال رسخها فيه الأفغا ، وكان يدخل ال الأول هو الاشتراك الثورة العرابية ودعمها، بل كان من كبار زعمائها، وبسببها كان من ا غضوب عليهم، غ أن ا ديوي صفح عنه ا عاد إ مصر ا اتصف به من ا لم وكرم ا لق، وا ال الثا هو اربة الاستعمار الإ ليزي، وهذه ا اربة تتمثل التحريض السياسي ضد وجوده فوق الأراضي الإسلامية، وكانت العروة الوثقى من ا لكل هذه الأنشطة.

لكنه وبعد ربة مريرة عاشها غير خطه الإصلاحي لة واحدة حيث رأى ما هو أجدر بالإصلاح وأنفع وهو الإصلاح التعليمي والتربوي، وهناك قال قولته ا شهورة (أعوذ با من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن مع السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال طر با من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أويتعلم السياسة، أو ب أو يعقل السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس) [17].

كانت هذه لة من ا ؤهلات ساعدت رشيد رضا بشكل أو بآخر على ولوج العمل الإصلاحي صيغته السياسية ال تنب على شرع الإسلام، و تكن فكرته الإصلاحية سوى مظهر من مظاهر تأث الواقع الذي عاش فيه، غ أن هذا التأثر يصل إ حد الا راف مع سلبيات الواقع ومشكلاته، بل وقف منه ا وقف الذي كان ملائما ومتلائما

---

[16] صدر العدد الأول من **العروة الوثقى** 15 من جمادى الأولى 1301 هـ / 13 مارس 1884، مديرها المسؤول هو جمال الدين الأفغاني، ومحررها الأول هو محمد عبده – أعاد طبعها وإخراجها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – العدد الأول عام 1401 هـ / 1981م

[17] العدوي، إبراهيم أحمد. **رشيد رضا الإمام المجاهد**، ص 216- 217

مع منحاه الإسلامي، وطبعي جدا أن ينتظر ا سلمون من رجل كهذا إنارة الطريق ا ظلمة با هل والظلم والفساد، وتوجيههم وسبل الفلاح والرشاد، و كن للباحث -لأي باحث كان- أن يقر قيقة واضحة وهي أن الشيخ ر ه ا كان على اطلاع تام ختلف التيارات الفكرية والأنظمة السياسية القائمة، واعيا برغبات الأمة و ا والسعادة.. و ا زاد من توسيع الفقه السياسي أنه كان على دراية بطرق الفساد وأوجه الضلال ال استشرت ومها جسم الأمة.. لا يكون مستوى الفحص وا عا ة وهو ا ائز على العقاق ا ضادة ذه السموم من صيدلية الإسلام العامرة "ومن يؤت ا كمة فقد أو خ اً كث اً". (البقرة: 269)

ثانيا: ا نار ودورها الإصلاح السياسي:

الوقت الذي عاد فيه مد عبده إ مصر بنفس جديد الإصلاح، وبطريقة تلفة عن ا رحلة السابقة نرى تلميذه رشيد رضا يعقد العزم على ا جرة إ مصر ليؤسس لة يبدأ من خلا ا إصلاحاته العامة، هكذا دخل رضا مصر قادما إليها من ب وت بتاريخ 8 رجب من سنة 1315هـ ا وافق لـ 3 يناير من عام 1898م، وهذا تاريخ ملائم لبداية العمل السياسي حيث صدر السنة نفسها - 15 مارس- العدد الأول من لة "ا نار" باركة مد عبده و ساعدته، ومكثت من هذا التاريخ إ سنة 1905م تو أمرها إ "الإصلاح الدي " لأن الأستاذ الإمام كان حريصا على عدم تدخل ا ريدة السياسة مباشرة[18]، وتو عبده سنة 1905م حيث ا رط رضا بعد وفاته العمل السياسي العام، و ا زاد من تقوية عز ته أن صدى حركة (تركيا الفتاة) بدأ يتسع إ ا ارج، فبادر رضا إ تأسيس عية (الشورى العثمانية) ال مكنته من إصدار مقالات الاستبداد وسياسة السلطان عبد ا ميد وحكم الشورى وطرق إصلاح الدولة العثمانية...

18 لكننا نراه من صميم العمل السياسي الشرعي، لأن السياسة التي كان عبده حريصا على عدم طرقها هي من النوع الذي تكلمنا عنه في العنصر السابق، أنظر (مؤهلاته في العمل السياسي) .

عمرت ا نار عمرا يناهز سبعا وثلاث سنة، من سنة 1898م إ عام 1935م، وهو عمر ظهرت فيه أحداث سياسية جسام كان أك ها ا يار الإم اطورية العثمانية والقضاء على خلافتها، وظهور الثورة البلشفية الاشتراكية الشيوعية روسيا ال قضت على النظام القيصري ا ستبد وا عتدي على حدود الإم اطورية الإسلامية، وما جرى ب حركة د وحركة ا جاز حول تو الزعامة على مقدسات ا سلم وتدخل الاستعمار الإ ليزي ا نطقة، وبروز ظاهرة الانفصال ال استفحلت بشكل ذريع العا العر و شرق أوربا، وظهور ظاهرة القومية العربية ال تنظر ستقبل الدولة الوطنية العا الإسلامي من منظور الصيغة العلمانية ال أسس دعائمها **مصطفى كمال أتاتورك** ...[19] وهذا كله كان لف ا تمع الإسلامي آفات أخلاقية خط ة، وعللا وأمراضا فتاكة كلها كانت تتجاوب مع الوضع السياسي العام، كانت لة ا نار تواكب هذه ا شكلات وتتصدى ا بروح علمية وإ انية وجهادية عالية، و طئ من ينظر إليها على أ ا لة دينية إصلاحية فقط، بل هي -علاوة على ذلك- فكرية سياسية ثائرة على الوضع، ارس السياسة عناها العام ومن منظور السياسة الشرعية ال دخلها رضا من أفق الفهم الفقهي ا تميز، وهي لاف (العروة الوثقى)، لأن العروة الوثقى كانت اطب الشعب من ا ارج ح كانت ا نار اطبه من وسط مشكلاته ا ية وا يوية، و ا زاد من تألقها أن صاحبها كان عا ا بشؤون جزيرة العرب وشؤون أمرائها،وعارفا بظاهرة ا ركات العربية بأحوا ا وأحزا ا و عيا ا، كما كان واسع ا عرفة بأحوال الدولة العلية وما يراد ا من الداخل وا ارج، وهذا كله تدل عليه مقالات رشيد رضا ا لة، والواقع أن لة "ا نار" هي رشيد رضا، فكل فكره الإصلاحي هو موجود هذه ا لة، وكل ما ألفه من كتب مستقلة إ ا يوجد كث ه أوبعضه ا نار[20]، والسبب ذلك أن ا نار ارتبطت بعمر صاحبها فقد توقفت ا توقفت حياته، والفضل يرجع إليه أنه ذه ا لة وقف صومعة عالية ترق حجب السماء ا لبدة بغيوم التعتيم الإعلامي والتمويه على ا قائق،

---

19 خروبات، محمد. **الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في التدافع الحضاري**، البيضاء: مطبعة إيباج، 1998، ص96-97.

20 غالبا ما كان يصنف رسائله باقتراح من أخيار الناس الذين لهم غيرة على الدين وعلى الإسلام والمسلمين، وقد بين ذلك بنفسه في مقدمة بعض رسائله، انظر مقدمة كتابه **حقوق النساء في الإسلام**، ص4.

وقد وقفت ا نار وجه الصحافة التركية الداعية إ الانفصال عن العرب و جيد القانون الأور وإيقاف الاستبداد السلطا ، كما كانت جرائد أخرى البلاد العربية ا شهورة رية الصحافة كمصر وسورية رك أقلامها ذا الغرض، كانت ا نار تقف حائلا أمام كل تلك الدعاوى والأقوال ا زيفة، لكن با جة والدليل وبصيغة مرنة مقبولة ح وصفت بأ ا "**لسان حال الإصلاحي ا عتدل**"[21].

ثالثا: موقعه من الظاهرة الإصلاحية العامة

يكن رشيد رضا هو الذي يتكلم وحده عن الوضع السياسي العام للأمة، بل راح ا ثقفون يتكلمون من تلف الا اهات، فا سيحيون العرب ينظرون للحالة السياسية العامة والقوميون العرب من ا سلم يتكلمون، والأتراك طون شروع القومية التركية ال ا ذت من العلمانية طريقا سياسيا جديدا ا، والدولة الوطنية تتكلم عن التحرر بطريقتها وبأسلو ا و قاصدها ا اصة ال فظ ا البقاء والاستمرارية، وا ستشرقون للون الوضع بطريقتهم الاستعلائية و نهجهم الانتقائي ا شوه وكل يتكلم، أما ا خلصون من أبناء الأمة، الراغبون الإصلاح على الطريقة الشرعية مثل الأفغا وعبده ورضا وأ د خان ا ند فلهم تصور تلف للوضع.

كن القول أن مرحلة ما قبل سنة 1908م كانت فيها آراء الشيخ رشيد رضا تتماشى مع آراء مد عبده ومواقفه، وهي: مهادنة الاستعمار والانتفاع عطياته ا ادية وا ضارية، وهذا ا وقف يشكل نقطة افتراق عن ا ط السياسي الإصلاحي الذي ر ه ال الدين الأفغا من قبل، ذلك أن مشروع هذا الأخ كان مشروعا سياسيا إصلاحيا بالدرجة الأو ، أما رشيد رضا فقد كانت نظرته إ الإصلاح نظرة عامة، نظرة تأخذ بع الاعتبار ح النظرات الإصلاحية الأخرى، نظرة تستنبط الإ ا من تلك ا واقف وتترك السل ، وقد مكنته هذه الطريقة من أن يقف على حقيقة الدعوات الإصلاحية سواء مصر أو خارجها، يدلنا على ذلك ا وازنات ال كان يعقدها ب ا هود الإصلاحية لرواد الإصلاح السياسي عصره كموازنته ب ال الدين الأفغا والسيد أ د خان

---

21 كوثراني، وجيه. **مختارات سياسية من مجلة المنار**، بيروت: دار الطليعة، 1980، ص 36.

ا ند[22] وب هذا الأخ و مد عبده[23]، كل ذلك لأجل اختيار طريق سليم وصحيح، وهو الطريق ا ركب من إ ابيات ا رحلة السابقة.

إن العمل السياسي هو عمل غ كاف الإصلاح إذ لا بد من إصلاح التعليم والتربية والتوجه إ إصلاح عيوب ا تمع وهذه القضايا أ ل منها الأفغا الشيء الكث ، ح كان أ د خان ا ند يوازن دعوته ب السياسي والتربوي والثقا والتعليمي وح الاجتماعي، لذلك فاق ال الدين الأفغا هذه الأمور وإنفاقه ال الدين السياسة، وأعتقد أن عزوف مد عبده عن السياسة آخر أيامه يأ من كونه أحس بنقطة الضعف دعو ما (هو والأفغا) طوال تلك السن ، وهو أن ا تمع الإسلامي حاجة إ إصلاح تعليمي وتربوي أكثر، وأن الإفراط العمل السياسي كن أن رق أوراق الإصلاح كلها ا فيه من ا خاطرة بالنفس والنفيس، وفعلا فقد كانت اية ال الدين الأفغا على هذه الصورة اما، وكادت الصورة نفسها أن توقف مسار عبده لولا أنه غ ا نهج حيث بدأ ينظر إ الاستعمار نظرة أخرى غ ا رب وا فاء اللذين لن يعطيا شيئا. كن أن يكون هناك تعاون جاد ومسؤول يعود على أفراد ا تمع الإسلامي بالنفع، وهنا يتحول (الاستعمار) إ أداة مسخرة الإصلاح، لقد أدرك عبده بنظرته ال خضعت لتجارب عديدة أن ا رب والثورة على الاستبداد الداخلي وا ارجي أدا ا **الشعب،** يع أفراد الشعب، وهؤلاء ليسوا مستوى من العلم والوعي والتربية ال تؤهلهم وض غمار الثورة لتغي الوضع، فلا بد إذا من تربيتهم وتوعيتهم وتنوير فكرهم... كان هذا هو السبب الذي جعل الشيخ رضا يل ميلة عظيمة عن السياسة ويصدر حقها ما قد رأيتَ.

اذا شاطر رشيد رضا مد عبده عزوفه عن السياسة؟ وهل السياسة ال أدار رشيد رضا ظهره ا بصحبة شيخه هي كل السياسة أم هو عزوف عن جزء منها فقط؟

سؤال وجيه جدا، وجوابه أن رشيد رضا هذه ا رحلة كان حديث العهد بصحبة مد عبده، وكان مد عبده هو ا وجه وا دير لأفكار الإصلاح، وهذا يب أن رضا

[22] المصدر السابق، ص30.

[23] المصدر السابق، ص 28-29.

كان تابعا لشيخه كل شيء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السياسة ال عدلا عنها هي السياسة ال تتعلق بقضية الاستعمار وصلته بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل البلاد، وكذلك صلته بالسلطة ا اكمة، فكأن رضا يريد أن يفسح ا ال للسلطان ليقوم همته، وهي ا همة ال لا كن لأحد أن يقوم ا وذلك لسبب واحد هو أ ا أعلا من ا ميع، وحـ الاستعمار ليس مهيئا لأن يتحاور ويتذاكر مع أي طرف كان إلا أن يأ من جهة السلطان أو من قبل جهة ا وزن سياسي وشع ، وكل اولة رج عن هذا الإطار فإ ا عرضة للسحق، إما من جهة السلطة الداخلية ال لا تفيد شاركة أحد اور ا مع الاستعمار، وإما من جهة الاستعمار الذي لا يسمح لأي أحد أن يتو الوصاية على الشعب وعلى السلطة ا لية، وكيف يسمح وهو لا يعترف حـ بشرعية السلطة القائمة البلاد، لذلك كان رضا يرى أن الإصلاح "لا كن القيام به إلا باتقاء السياسة فيه، واجتناب مقاومة السلطة له، و عل مداره على تربية النفوس بالدين، وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لأهلها"[24].

ما السياسة ال تركها رضا لأهلها؟

لا شك أ ا السياسة ال ص أهلها، السياسة ال لا مدخل لرضا ولغ رضا فيها، لكن هناك سياسة أخرى يعرفها رضا و يدها وهي السياسة ال يتوجب عليه أن يقوم ا، ويدعو الناس من خلا ا ويباشر الإصلاح من موقعها، هذه السياسة هي **السياسة الشرعية** ال جاء ا دين الإسلام، السياسة ال تصلح للبلاد والعباد، وبدو ا يقع ا لل و صل الفساد، هذا النوع من السياسة لا يده اللورد كرومر ولا تعرفه السلطات الاستعمارية البتة، كما أن السلطة القائمة وإن كانت تعرفه - كم انتمائها إ الإسلام- فإ ا بذ الدعوة إليه لا العمل به... وهذا فيه إجابة واضحة للذين عاينوا إصلاح رضا من مواقع خاصة، أولئك الذين رأوا نبذه للسياسة واعترافه الة الاستعمار عملية احتواء وتوافق، واتكالية مع استقبال مريح (للغرب الرأ ا الشرق العر)[25].

---

24 مجلة **المنار**، مجلد: 9 ص 286 – 287.
25 كوثراني، وجيه. مصدر سابق ص 26 وص 33 والخاتمة.

كان رشيد رضا يدرك أطماع الغرب ومشاريعه ا نطقة، وأيديولوجياته ال يريد اكتساح القيم الإسلامية ا، كانت طموحات الاستعمار تظهر لرضا مسألت **الأو** مصا ه السياسية والاقتصادية والثقافية ال نيها من تواجده ا نطقة، وإدراك هذه الرغبة، والوقوف عند حدودها يتطلب الوعي الة العا ذلك الوقت، أي أن يكون ا رء على حالة من الوعي السياسي العا ي، وكان رضا على معرفة تامة وجيدة بذلك. أما ا سألة **الثانية** فتتعلق تطلبات أحوال الداخل، و قيق رغبات ا ستعمرين مثل التعم والتحض والتمدن وبناء ا دارس وا ستشفيات والإصلاحات الاجتماعية الداخلية...، وكان رشيد رضا يدرك أن هذه الإ ازات ال يقوم ا الاستعمار ما هي إلا وسيلة لتحقيق الرغبة الأو .

حيال هات ا سألت انقسمت الفئات الداعية إ الإصلاح إ أربع طبقات:

الطبقة الأو : ثلها السلطات الاستعمارية، وهذه السلطة ا حكم مع ، وهي تباشر إصلاحا من نوع مع النوع الذي يضمن للغرب مصا ه وأمنه ووجوده على أرض الواقع.

الطبقة الثانية: وهي الطبقة ال انبهرت بالتقدم ا ضاري للغرب، غالبيتهم تعلموا ا دارس ا دیثة ال أنشأ ا الإقامة العامة، هؤلاء كان رشيد رضا يسميهم بـ "ا تفر " لا تربطهم بتراثهم أي رابط عاطفي، بل كث منهم هل جهلاً تاماً حقيقة "الإسلام" و"الشريعة الإسلامية" وحقيقة "التراث والتحرر"، ويرجع تكوين تيار الفكر اللي ا العلما الذي ثل أيديولوجية الغرب إ هذه الفئة، فراح يقدم ساحة الإصلاح عنصر **الاندماج** مع الأفكار السياسية الوضعية ال أنتجها الغرب، بل ناضل من أجل تبنيها وترسيخها و اربة ما ول دو ا، نذكر من هؤلاء مثلا فارس ر وفرح أنطوان وشبلي يل والقائمة تطول، وقد اتسع رواد هذا ا ذهب السنوات ال تلت هذه ا رحلة.

الطبقة الثالثة: وهي طبقة السلطة ا اكمة البلاد، سلطة ا رغبة استمرار ا كم على الطريقة الاستبدادية، وهذا كله لأجل بقاء السيد ا اكم الذي يرعى مصا ه ومصا شبكة من أدعياء الإصلاح النفعي ، أولئك الذين يرفهو ن أنفسهم مقابل إفقار شعو م، و ذه الطبقة مطامح وأيديولوجيات معينة فهي تتخذ من القواسم ا شتركة بينها

وب الشعب كالتقاليد والأعراف والدين وا افظة على الوطن أداة للاستغلال والتمويه على الرعية، ومن خلال تسيـ ها للشؤون الداخلية ء الوظائف الر ية الـ ت سياد ا تكرس مفاهيم معينة يراد ا أن تكون ثابتة ومركزية.. بل غالبا ما تضحي صا الشعب لفائدة مصا الاستعمار، يدلنا على ذلك أ ا كانت سببا دخول الاستعمار، إذ أ ا كثـ ا ما كانت تقترض لترفيه نفسها وحـ تعجز عن إرجاع الديون تتدخل السلطات الأجنبية البلد متخذة من ذلك ذريعة، وأعتقد أنه ذه الصورة دخلت فرنسا وإ لترا إ مصر، كما دخل الاستعمار إ بلدان إسلامية أخرى بالصورة نفسها.

الطبقة الرابعة: إذا ن عرضنا سلبيات الطوائف السابقة تبـ لنا أن الإصلاح ا قيقي -(**الإصلاح العظيم**) كما يسميه رشيد رضا- لا كن أن يتم من خلا ا ومن خلا ا وحدها، فنوايا الاستعمار واضحة تدل عليه ارساته النظرية والعملية البلاد، ومصا الطبقة ا اكمة -وا ا كم نسـ الوضع- لا تعكس الإصلاح ا رتقب، أما الطائفة ا ليفة للغرب فالإصلاح معها يذوب وينحل، لأ ا -كما يقول-: "لا قيمة ا نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين"[26]. غـ أن ا دل كان حادا بـ فئتـ : الأو فئة ترى أن الإصلاح السياسي يأ من جهة الطبقة ا اكمة البلاد، فالإصلاح لا تقوم له قائمة نظرهم إلا بالاعتماد على الأمراء والسلاط وا كام. والثانية فئة ترى أن الإصلاح السياسي ينبثق من القاعدة لا من القمة، لأن القمة نظرهم هي سبب الفساد فلا يعول عليها الإصلاح.

غـ أن رشيد رضا رأى أن يدير وجهه عن هذا ا لاف واختار **التوفيق** حيث رأى أن إصلاح ا كام لا يكون إلا إذا كانت الأمة متعلمة ومهذبة، وإذا ذبت الأمة وتعلمت ذبت يع فصائل ا تمع ومكوناته ا فيه ا كام، لذلك فهو يدير وجهه جهة الذين شعروا صاب ا سلمـ ليقوموا بواجبهم أحسن قيام، ن فيهم **رجال الإصلاح، وهؤلاء هم أهل الطائفة الرابعة،** يتوجه إ رجال ا كومة فيتهمهم بالإثراء غـ ا شروع على حساب الشعب الفقـ ، ودعوته إليهم أن يقوموا حاربة الرشوة والفساد ا سيطرين على الدوائر ا كومية، وطالب ا كومات وحث ا معيات على القيام بأعمال الـ

[26] مجلة **المنار** مجلد 6، ص 2-3 ومجلد 11، ص 738.

والإحسان[27]، يقول عبارة جامعة: "لا بقاء مع ظلم وفساد، ولا عدل مع استبداد، ولا هلاك مع إصلاح، ولا إصلاح للدولة إلا بصلاح الأمة، ولا صلاح لأمة إلا إذا كان فيها بقية من أو الرأي والعزم، يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد الأرض، ولا تأث للأمر والنهي إلا بإ اع الأمر وإحكام الرأي، ولا يفيد الإحكام والإ اع مع مراعاة سنن الاجتماع لاختلاف استعداد الأقوام باختلاف أحوال الزمان وا كان، وزماننا هذا هو زمان ا ماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية، وم ملكت الأمة با معيات أمورها ا عنوية وبالشركات أمورها ا ادية كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها وتقيمها على صراط شريعتها"[28].

إن أفضل طريق للإصلاح هو الإصلاح السياسي الذي تتعاون فيه القمة مع القاعدة حيث يشترك ا ميع إصلاح واحد، لأنه م كان الإصلاح جهة واحدة كان ناقصا، "فا كومة لك القدرة على إلزام الأمة بالإصلاحات، وصلاح الأمة يؤدي إ صلاح ا كومة لأن الصا لا تار إلا مثله"[29].

وإذا كان رشيد رضا وقف ب الفئة ا والية للحكومة والفئة ا عادية ا وا والية للشعب على النحو الذي عرضنا فقد وجدناه يوفق ب فئت إصلاحيت تلفت : إحدا ا موالية للاستعمار وللدولة الوطنية الغربية وتريد أن ري الأمور على ما عليه حالة الدولة الغرب؛ والثانية تعادي الغرب مطلقا، وتريد من الإصلاح أن يكون من الداخل، يس وفق ا صوصية والذاتية وا قومات والثوابت، وغالبية هؤلاء هم من العامة.

حاول رشيد رضا أن مع ب الرأي رأي واحد ثله طائفة واحدة أكد على ضرورة وجودها حل ا لاف فقال: "لا بد من حزب وسط ب **العامة** وب **ا تفر** يكون له جانب إ النظام وا دنية وجانب إ الدين النقي"[30]، فجانب **"النظام وا دنية"** يتمثل إدخال النظم الغربية، وأساليب ا ضارة وطرق التسي ووسائل التنظيم

27 مجلة **المنار**، المجلد 13، ص 348.
28 مجلة **المنار** المجلد 17، ص 7.
29 درينقة. مصدر سابق، ص 48.
30 **المنار**، مجلد 9 – ج4، ص 286-287.

الإصلاح الإداري، فالإسلام وا ضارة صديقان يتفقان ولا تلفان[31]، وجانب **"الدين النقي"** يتمثل الالتزام بالشريعة الإسلامية ا كم السياسي، وتسير شؤون العباد ا، فإحلا ا واقع الأمة هو حيا ا، وإلغاؤها هو إبعاد للإسلام عن أرض الواقع.

هكذا يرتفع صوت رشيد رضا اء الإصلاح العام ليكون خ ثل ذه الطائفة ال أسس ا ال الدين وأ ها مد عبده، وأكملت مع رشيد رضا، طائفة تتلا سلبيات الدعوات الأخرى لتعمل وفق الإ ابيات، ومن إ ابيا ا: الاعتدال والتوازن وا رونة والعلم والتخطيط، وهي كلها عناصر قابلة لأن تبحث من خلال جهود رشيد رضا الإصلاح، لو عت و ثت ل هنت على أن رشيد رضا ثل طبقته هاته **التيار السياسي العقلا الشرعي.**

رابعا: فقهه السياسي الشرعي:

1. الفقه السياسي الشرعي:

الفقه السياسي الشرعي هو عمدة السياسة الشرعية، والسياسة الشرعية تقوم على حسن فهم حقيقة الشرع وحسن إنزاله على الواقع، حسن الإدراك ا يترتب على هذا الإنزال من مآلات وقضايا[32]، وهذا كله لا رج عن "إقامة ا ق والعدل، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج به ا ق ومعرفة العدل وجب ا كم وجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذوا ا وإ ا ا راد غايتها ال هي ا قاصد، ولكن نبه ا شرعه من الطرق على أسبا ا وأمثا ا، ولن د طريقا من الطرق ا ثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها، وهل يظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك؟"[33].

---

31 **الفكر الإسلامي المعاصر**، مصدر سابق.

32 القرضاوي، يوسف. **السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها**، القاهرة: مكتبة وهبة 1998.

33 ابن قيم الجوزية. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، بيروت: دار الفكر، 1977، تحقيق محي الدين عبد الحميد.

والسياسة الشرعية مصطلح جرى استعماله عند أئمة الإسلام، وقد صنفوا فيه مصنفات كثـ ة،[34] وأقوى من حاول ديد معناه ديدا عاما العلامة ابن قيم ا وزية مؤلفه "إعلام ا وقع " فقد وضع فصلا بعنوان: "كلام الإمام أ د السياسة الشرعية" ساق فيه موعات روايات للإمام ص بعض الأحكام الفقهية كنفي ا خنث أوحبسه، وإقامة ا د على شرب ا مر رمضان، ومعاقبة من سب الصحابة ومن أسلم و ته أختان أجـ على إحداهن، انتقل إ الإمام الشافعي فذكر أشياء من فقهه مثل هذه ا سائل مثل جواز وطء الرجل ا رأة ليلة الزفاف وإن يرها و يشهد عدلان على أ ا امرأته بناء على القرائن، وذكر مثل هذه الأمور موعة من الأحكام ليقول ختام ذلك: "وهل السياسة الشرعية إلا من هذا الباب..."[35]...هكذا تكون السياسة الشرعية الـ اشتغل ا رشيد رضا إلا من هذا الباب، فهي لا تبتعد عن روح ا ع الذي حدده ابن القيم وغ ه من أئمة الإسلام، غ أن شكلها ومظهرها تلف باختلاف أقضيتها جريان العصور، وكانت مشكلات العصر وتفاقم أزماته السياسية سببا تكوين الفكرة السياسية الشرعية عند رشيد رضا.

2. رشيد رضا الفقيه السياسي:

من شروط الكلام بالسياسة الشرعية، ومن شروط التأليف والتصنيف فيها، و القضايا الـ س واقع الأمة من خلا ا أن يكون صاحبها فقيها حق الفقه، وتدلنا ا قالات الـ كتبها رشيد رضا، وعا فيها قضايا عامة و تلفة أنه كان فقيها له اطلاع واسع[36] على كتب الفقه وله معرفة جيدة قيقة ا ذاهب الفقهية ا تبوعة وغ ا تبوعة، وله إ ام

---

[34] عارف، نصر محمد. **في مصادر التراث السياسي الإسلامي**، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981.

[35] **إعلام الموقعين** 373/8.

[36] أنظر كتاب **الوحدة الإسلامية والوحدة الدينية**، مجموعة مقالات صدرت في المنار، المجلد الثالث والرابع والسادس، تعالج قضايا عامة في الفقه السياسي الشرعي من ذلك مثلا:

أ. محاورات المصلح والمقلد في مسألة الاجتهاد والتقليد والوحدة الإسلامية

ب. الأسئلة الباريسية في الاجتهاد والتقليد والشريعة والقانون والمدارس الإسلامية الجامعة.

ج. اختلاف الأمة وسيرة الأئمة، ومخالفة الخاف للسلف الصالح في فهم الدين والعمل به، وما يجب أن يكون عليه المسلمون في دينهم وشرعهم. الإصدار الثالث للكتاب – دار المنار – عام 1367هـ.

واسع بقواعد علم أصول الفقه وا قاصد الشرعية، وكان عا ا بكتب الأحكام الفقهية من القرآن والسنة النبوية، كما كان عا ا باجتهادات السلف من الصحابة والتابع ومن تبعهم، وقد مكنته هذه ا عرفة الواسعة من أن يعمل بالفقه السياسي الشرعي عملا تصاحبه النظرة العلمية الواعية بأن هذا الفقه أصبح جسدا بلا روح، فجسده قائم ا راجع وا صادر والأصول لكن روحه ضاعت اما بسبب تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية ا ياة العامة للبلاد الإسلامية، كما أنه كان يعي أن كث ا من مفكري عصره من القومي والغربي يرددون شبهة استشراقية مفضوحة مفادها أن الشريعة الإسلامية إ ا استمدت كث من بنودها من القوان الرومانية، وهذا فيه تضليل للشعوب العربية والإسلامية ال تعا من ا هل الفظيع بسبب أميتها وبعدها عن الإسلام، وهي بلا شك عون للاستعمار على كيم ربقته سياسات ا سلم بالسياسات الغربية الوارثة الطبيعية للقوان الرومانية، فكان لا بد لرشيد رضا أن يدعوعلماء الأمة وشبا ا إ الاطلاع على ذخ م ا ية الفقه الإسلامي، ذخ ة توارثوها خلفا عن سلف وهي حجة عليهم تار هم وحضار م وواقعهم، يقول فزا: "أن يعلم من أدلتهم ومداركهم ما هو مستند إ نصوص الكتاب والسنة القطعية أو الظنية، وما مستنده القياس أو الاستنباط من القواعد العامة أو ا اصة ذهب دون مذهب ا صا عند ا الكية وغ هم والاستحسان عند ا نفية، و ذا يعلم غلط من زعم أن ا سلم استمدوا أحكام ا عاملات من القوان الرومانية"[37]، وكان يقدم كتاب "**ا غ لابن قدامة**" على سائر كتب الفقه، لا يضاهيه ذلك سوى كتاب "**ا لى لابن حزم**" الذي كان يعت صاحبه ددا للفقه الإسلامي مثل **العز بن عبد السلام،** ومع هذه الدرجة ال حظي ا ا لى عند رشيد رضا فإن ا غ حظي بثناءات مطلقة عنده لدرجة أنه قال مرة: "وإذا يسر ا تعا لكتاب ا غ من يطبعه فأنا أموت آمنا على الفقه الإسلامي أن وت"[38]، وقد بسط ب يدي هذا التقد م رات علمية كث ة أ ها أن ابن قدامة ص مذاهب فقهاء ا سلم ا تهدين بأدلتها من أمهات الأحكام ومهمات ا سائل، بعيدا عن التعصب كل ترجيح، وبعيدا عن تكلف

---

37 يعنى أقوال أئمة السلف وعلماء الأمصار من أصحاب المذاهب المختلفة وأدليتهم، أنظر مقدمة **المغني**، ص 17.

38 المصدر السابق، ص 10.

الطعن على أهل ا مود من ا قلدين، هذا مع العلم أن ا صنف فقيه حنبلي، و دث أثري.

يكن رشيد رضا متقيدا ذهب فقهي مع ، وإ ا كان تهد بعمل شخصي، يف فيه بالدليل ويسلك فيه سبيل أهل الاجتهاد ا طلق، لذلك جاء اجتهاده ال الأحكام متميزا لا سيما تفس ه لآيات الأحكام تفس ه ا شهو ر بتفس ا نار، وهذه ملاحظات عامة عن اجتهاده ال النص:

أ. الفهم ا يد وا افظة القوية.

ب. ا ة ا يدة بالواقع.

ج. الوعي العقلا التام بالأحكام الشرعية.

د. ا عرفة ا يدة لكيفية تنـزيل الأحكام على وقائعها.

هـ. الإدراك التام طامح الشعوب الإسلامية.

و. وضوح الرؤية وجودة الأسلوب وبلاغة العبارة.

ز. ا ة با د وا زر ا مارسة السياسية.

ح. حسن رير الفكرة السياسية ء العمل الصحا ا لتزم.

ذا غدا ر ه ا موسوعة زمانه، و تهد عصره، و دد قرنه، و د عن السنة بل سار على طريق السلف تقرير ا ق وتقعيد العلم وخدمة الشريعة الإسلامية.

3. نقده للتعصب ا ذه :

عرف رشيد رضا بنقده الصارم تعصبة ا ذاهب الفقهية، وقد أعانه على ذلك تتبعه الدقيق للعوامل والأسباب ال أوقعتهم هذه الصفة، يدلنا على ذلك سرده لأحداث التعصب وما جنته على الأمة من ود و لف و زق، سرد يصاحبه نقد منهجي ومضمو بلغة سهلة وواضحة لكنها من حيث القواعد اللغوية رصينة لا ترق، يقول:

"ولكن ا تعصب للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف ر ة، وشدد كل منهم تيم تقليد مذهبه، وعدم الترخيص للمنتم إليه تقليد غ ه ولو اجة أوضرورة، وكان من مناظرا م ذلك، ومن طعن بعضهم بعض ما هو معروف كتب التاريخ والتراجم وغ ها كالإحياء للغزا "[39] وهذا الف لوحدة الأمة الإسلامية ال أرادها ا أن تكون متكافلة، متعاونة ومتحدة فقال: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ (الأنبياء: 92)، وذم التفرق والتمزق فقال تعـا : ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم شيء**﴾ (الأنعام: 159)، وإذا ما وقع ا لاف -وهو واقع لا الة- فمرده إ الوحي لأنه هو ا ع الوحيد على حل ا لاف، قال تعا : ﴿**فإن تنازعتم شيء فردوه إ ا والرسول إن كنتم تؤمنون با واليوم الآخر، ذلك خ وأحسن تأويلا**﴾ (النساء: 59)، فهذه الاية هي شعار الوحدة، وميزان من يدعو إ الوحدة، وهي أساس الائتلاف، وقاعدة درء الاختلاف، يقول رضا: "حقا إن على ضعفي وعجزي حريص على **الإصلاح الإسلامي على إطلاقه وعمومه،** ولا أخص به أهل مذهب دون غ ه، وإن لست سنيا ع التعصب، بل أنا س ع أن مستمسك ا صح من سنة الن صلى ا عليه وسلم لا أؤثر عليه تقليد أحد"[40].

وكان يوازن نقده ب تعصب ا لف وتساهل السلف الصا ، هؤلاء الذين كان فقهاؤهم يأخذون ا أراده ا من اليسر الشرع وانتفاء ا رج منه، وكانوا يضعون سلم الأولويات عدم التفريق ب ا سلم بالظنون الاجتهادية "ح كان أشهر الأئمة لا يستحلون ا زم با كم فيها، فيقول أحدهم: **أكره كذا،** أو: **لا أستحسنه،** ويقول مقابل ذلك: **يفعل السائل كذا احتياطا،** أو: **أحب كذا،** أو: **يعجب** ، أو: **أعجب إ** ، أو: **هذا أحسن،** هكذا كان يقول الإمام أ د ا سائل الاجتهادية أوفيما لا نص صحيحا صر ا فيه من الكتاب أوالسنة ويؤثر وه عن غ ه"[41].

وقد لا حظ رشيد رضا أن مدونة ا ذاهب جعلوا من كل هذه الاحتياطات قواعد م تشريع الأحكام، ومع توا الزمن خرج إ الوجود فرق مستقلة الفروع صارت

---

39 مقدمة رشيد رضا لكتاب **المغني** ص 12.

40 مجلة **المنار** مج23 – ص766. وأنظر درينقة ... مصدر سابق ص 156.

41 مقدمة **المغني** ص13.

فيما بعد -مع متكلمة ا ذاهب- فرق مستقلة العقائد أيضا، وهذا كله بعيد عن وضع اجتهاد الأئمة، فالأئمة الكبار من أمثال أ حنيفة النعمان بن ثابت (80 - 150هـ)[42]، ومالك بن أنس الأصبحي (95 - 179هـ)[43]، و مد بن إدريس الشافعي (150 – 204هـ)[44] والإمام أ د بن حنبل الشيبا (164 – 241هـ)[45] إ ا كانوا أئمة ميع ا سلم ، وذلك بتمسكهم بأصول الدين، وأخذهم للأحكام الشرعية أخذ الفهم من نصوص الكتاب والسنة، وما صح عن الصحابة، أما ما فعله تلامذ م وأصحا م من ع لاستنباطا م واجتهادا م فهو صيانة من الضياع، وهو مهم فتح أبواب العلم، وتسهيله لطلبة العلم لا أن مدوا عليه، يقول ابوإبراهيم إ اعيل بن ا ز [46] "اختصرت هذا الكتاب من علم مد بن إدريس الشافعي ر ه ا ، ومن مع قوله لأقر به على من أراده مع إعلامه يه عن تقليده وتقليد غ ه، لينظر فيه لدينه، و تاط لنفسه"[47].

إن ا مود على رأي الإمام واجتهاده وحده عل منه شارعا أو كالشارع، وهذا فيه ما فيه من الفة الشرع، ومن افتراق الطوائف ا قلدة ال تتباين وتتعادى و تلف وتتناقض، وقد اختلف ا سلمون أمور الشريعة اختلافات كث ة، وتباينت آراؤهم، وتعددت مشار م وتناقضت أحوا م، وقد أفضى هذا الاختلاف إ ظاهرة التكف والتفسيق والتدجيل، وهي ظاهرة - للأسف الشديد- سرت صفوف الدعاة والعامل الإصلاح حيث تبادلوا التهم ال كان علماء الأمة لا يطلقو ا إلا حق الفساق والفجار وا نافق ، ووصية رشيد رضا إ هؤلاء هي أن يستلهموا من علماء الأمة

---

42 ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج13، رقم الترجمة 72972، بيروت: دار الكتب العلمية، ص213 – 454.

43 ترجمته في **طبقات المالكية** المسمى **بشجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد بن مخلوف، دار الفكر، ج1ن ص 52 وما بعدها.

44 ترجمته في **تاريخ بغداد** –ج 2، ص56 وما بعدها ترجمة رقم: 454 **وطبقات الشافعية**- لأبي بكر هداية ا الحسيني ص11 – 12- تحقيق نويهض – بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1979م.

45 ترجمته في **تاريخ بغداد**، ج4 ص412 – 423، رقم الترجمة 2317.

46 مصري، من أصحاب الإمام الشافعي، اختصر كتاب الإمام الشافعي وهو المشهور بمختصر المزني، ولد سنة 175 هـ وتوفي سنة 264هـ له ترجمة في كتاب **تاريخ التشريع** للخضري ص 173، ببيروت: دار الكتب العلمية، 1988م، ص173.

47 مختصر المزني، المقدمة، بيروت :دار المعرفة.

و تهديها قوة علمهم وحسن فهمهم، ويتركوا **تعصب ا ذاهب الفقهية** ال ظهرت بعد موت الأئمة، تعصب تعددت آفاته: من أك ها وأخطرها التفرق ا ذموم والتشتت ا بغوض، فالاختلاف الصف مثلاً هو اختلاف الظواهر ولكنه يسري إ الباطن فيغ ه، فتنبثق من الداخل قناعات راسخة تصبح على مر الزمان قاعدة يب عليها عمل شاذ، وقدم رشيد رضا الدليل على ذلك من حديث النعمان بن بش رضي ا عنه[48] مرفوعا: (لتسون صفوفكم أوليخالفن ا ب وجوهكم)[49]، وا خالفة ب الوجوه شرحها الإمام النووي[50] بأن ا يوقع ب ا خالف العداوة والبغضاء و الفة القلوب[51]، وإذا اختلف القلب اختلف كل شيء[52] وللحديث شاهد آخر عند أ داود بلفظ: (وا لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن ا ب قلوبكم)[53] و حديث آخر: (لا تلفوا فتختلف قلوبكم) [54]، وا ع الذي جاء ا ديث مؤيد من وجوه كث ة، منها ما بينه رشيد رضا بقوله: "ويؤيد ا ع من ا عقول والتجارب ما ثبت من الاتفاق العادات واللباس من أسباب التآلف، والاختلاف فيها من أسباب التنافر فكيف إذا كان ا لاف الدين،

---

48 صحابي وابن صحابي، خزرجي أنصاري، مات سنة 65 هـ، له ترجمة في **تقريب التهذيب**، للحافظ ابن حجر، رقم 7152، بيروت: مؤسسة الرسالة،1996م، ص494.

49 أخرجه **البخاري** في كتاب "الأذان" – باب: "تسوية الصفوف عند الإقامة"- فتح الباري: ج2، ص206 – 207، رقم الحديث 717- طبعة دار الفكر، تحقيق الشيخ ابن باز.
وأخرجه **مسلم** في صحيحه – كتاب" الصلاة"- باب "تسوية الصفوف وإقامتها"، ج1 ص324، رقم الحديث 436، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي.

50 الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دمشقي ولد سنة 631هـ وكانت وفاته عام 676هـ، أخرجت له ترجمة جيدة في مقدمة رياض الصالحين الصادرة عن دار القبلة في جدة وعن مؤسسة علوم القرآن ببيروت، 1990م.

51 استفيد هذا التعليق من هامش رقم (01) في صفحة 324 من صحيح مسلم.

52 قياسا على حديث آخر للنعمان بن بشير مرفوعا: (إلا وإن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)، أخرجه البخاري في الإيمان، أنظر فتح الباري ج1 ص126 رقم 52، وأخرج الإمام مسلم في صحيحه "كتاب المساقاة" ج3 ص1219-1220، رقم الحديث 1599.

53 أخرجه أبوداود في السنن من حديث النعمان بن بشير أيضا، أنظر كتاب "الصلاة"، باب "تسوية الصفوف"، ج1 ص178 رقم 662، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية لبنان، والحديث صحيح.

54 المصدر السابق، حديث للبراء بن عازب مرفوعا،رقم الحديث 664 وهو حديث صحيح أيضا.

وكان كل فريق يعتقد أن الآخر الف ولرسوله بدعواه أن ما عليه أهل مذهبه هو ا ق، وما خالفهم فيه غ هم باطل"[55].

و ا كان التفرق سببا ذهاب سلطة الأمة، وسببا إضعافها ب الأمم، وسببا ك الأجانب من الاستيلاء على البلاد والعباد كانت النصيحة ال يقدمها رضا هي: "وجوب تلا شرور هذا التفرق، و ع الكلمة ووحدة الأمة، وكان هذا الغرض من أهم ما أنشأنا لأجله لتنا "ا نار"، وأول ما كتبناه من التفصيل ذلك " اورات ا صلح وا قلد" ال نشرت ا لدين 3 و4 أي من أكثر من ربع قرن، عت كتاب مستقل منذ بضع عشرة سنة"[56]، وهذا الفعل من الشيخ رضا إ ا يأ من منطلق إ انه أن الدعاة إ ا والعامل الإصلاح العام مالوا إ التيس سا وا ع الشمل و الصف، وكلما تشددوا وتعسروا كلما شقوا مع الأمة ال يعا أهلها من ا هل الفظيع والتخلف ا ريب، و القرآن والسنة نصوص ذات أحكام شرعية تشهد ذه الدعوى منها قوله تعا : فبما ر ة من ا لنت م ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (آل عمران: 159)، و حديث أ موسى الأشعري[57] مرفوعا: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[58] و حديث أ هريرة[59] مرفوعا: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)[60]، وهذا كله لغرض واحد كان الشيخ يريد كشفه للناس وبيانه م وهو الذي يقول فيه: "وإ ا غرضنا هنا أن نب أن يسر الشريعة وحكمة التشريع[61]، وكون الاجتهاد ر ة للأمة إ ا يعرف من موع كلام ا تهدين،

---

55 مقدمة **المغني** ص16.

56 المصدر السابق، وهو يريد بذلك كتاب: **الوحدة الإسلامية والوحدة الدينية**، سبقت الإشارة إليه.

57 عبد ا بن قيس بن سليم، صحابي مشهور، أمره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة: 50هـ، وقيل بعدها، ترجمته في "تقريب التهذيب"ص:260. رقم: 3542.

58 أخرجه **مسلم** في الجهاد، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج3 ص1358 رقم الحديث: 1732.

59 الدوسي، صحابي جليل، اختلف في اسمه واسم أبيه، مات سنة سبع، وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، انظر التقريب، ص599-600رقم 8426.

60 أخرجه **البخاري** في الإيمان – باب الدين يسر، ج1 ص93 رقم الحديث: 39.

61 أعتقد أنه لهذا الغرض ألف كتابه: **يسر الإسلام وأصول التشريع العام**، أبان فيه على مقدرة عالية في الإلمام بعلم أصول الفقه وقواعده التشريعية ومصطلحاته الفنية، كما تفنن فيه بالأسلوب الفقهي الذي يعالج القضايا الفقهية العامة على طريقة أهل الفقه الكبار. الكتاب نشره المؤتمر الإسلامي، طبع بمطبعة نهضة مصر، ط2 1956م.

ويفوت من قصر نظره على مذهب واحد من مذاهبهم، وأن طلاب الإصلاح للأمة الإسلامية ما زالوا يقترحون تأليف عية من علماء ا ذاهب ا تبعة كلها تضع للأمة كتبا العبادات وا عاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة، ومن اجتهاد يع ا تهدين، يراعى فيها اليسر ورفع ا رج ودرء ا فاسد ومراعاة العرف، وغ ذلك من القواعد[62].

4. دعوته إ وحدة ا ذهب : السـ والشيعي

الدعوة إ الوحدة هي دعوة عامة عند رضا، والوحدة دعوته وحدة شاملة، فلم تقتصر على وحدة ا ذاهب الفقهية عند أهل السنة فحسب بل دعا إ الوحدة ب ا ذهب السـ والشيعي، غ أن الدعوة تكن تتغاضى عن العيوب القائمة ب اتباع ا ذهب ولا جب عنه رؤية البدع وا نكرات الواقعة فيهم، فقد نال ا ذهب الشيعي من نقده ما نال مذهب أهل السنة، ومن خلال النقد كان يبـ أن مسائل خلاف ا ذهب إ ا تزيد الفرقة و التشتت، وأن اجتهادات تهدي أصحاب ا ذهب لا تساهم الوحدة، و قوله تعا : إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم شيء (الأنعام: 159) وعيد ن فرق الدين بأي شكل من الأشكال، و ا كانت الوحدة من الفروض ا طلوبة شرعا اهتم ا اهتماما بالغا، وقد شكل موضوع الوحدة ب السنة والشيعة حيزا كب ا من جهده وعمره فقد جاهد سبيل ذلك أكثر من ثلث قرن كما ذكر ذلك بنفسه[63]، ومهما كان ا لاف طاغيا ومتأصلا تار يا فإن قاعدة رشيد رضا الوحدة هي قوله: "أن نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما تلف فيه"[64]، و اطب السنة والشيعة يعا فيدعوهم إ ضرورة التوحد بعبارة جامعة مانعة يقول فيها: "إذا كنا لسنا حاجة إ الانتقام، وإذا كنا قد ذقنا فعرفنا جناية سل ا سام، وإذا كنا مهددين كل أرض لأن ديننا الإسلام، وإذا كنا -كما نعلم- على خطر لا ينجي منه إلا الا اد والالتئام، وإذا كان هذا الا اد متعذرا من جهة وحدة السلطة والأحكام، أفلا

---

62 مقدمة **المغني**، ص23.

63 أنظر مقدمة **المغني**، ص16.

64 **المنار**، المجلد الأول- ص792 وهذه القاعدة استعار معناها من الإمام الغزالي في:"القسطاس المستقيم"، يقول فيها: الاكتفاء بالعمل المجمع عليه، وعد المسائل الظنية فيها كأن لم تكن"، أنظر مقدمة **المغني**: ص16، وهي قاعدة لوعمل بها لأعطت خيرا كثيرا.

ب علينا أن نتلمسه من جهة الوحدة الدينية العقائد ا تفق عليها، والأخلاق ال لا خلاف فيها، والأخوة ال دعانا القرآن إليها، أفلا ينبغي أن نأخذ هذه ا واسم مذكرات بأفضل ما كان من سلفنا، وأنفع ما كان من أئمتنا، و تهد أن عل شعورنا واحدا ح يصدق علينا قول نبينا صلى ا عليه وسلم: (ترى ا ؤمن ترا هم وتوادهم وتعاطفهم كمثل ا سد إذا اشتكى منه عضوتداعى له سائر جسده بالسهر وا مى)[65] و[66].

خامسا: ولية الإصلاح السياسي عند الشيخ رضا.

كلمة **الإصلاح** ال نتكلم عنها هي كلمة عامة وشاملة، فهي لا تنحصر جزئية من جزئيات ا ياة، ولا مكون من مكونات ا تمع، والسعي ا ا ياة يقتضي إصلاح ا ؤسسات الفكرية والاجتماعية من هنا تنبثق النظرة الإصلاحية للرجل، وإذا أردنا فهم الإصلاح لديه وجب استحضار الأزمة العامة وا شكلات الشاملة ال خيمت بكلكلها على العا الإسلامي برمته، لقد ساهم أولئك الأعلام -ومنهم رضا- التخفيف من حدة وطأة ا شكلات والأزمات ال بلغت حد ا الغاية وذلك بتشخيصهم ا، واقتراح حلول عا تها، و لا: فقد سا وا إزالة بعضها، واعتقد أنه لولا جهودهم ا وفقة لكانت الأزمات وا شكلات أكـ بكث ا هي عليه اليوم، إ م وقفوا وراء صيحات التحرر، و قيق الانفصال عن ا كومة الا ادية تركيا، وطرد الاستعمار من ديار ا سلم بل يكفيهم فخرا أ م يقفون وراء موجة **الصحوة الإسلامية** ال تعم العا الإسلامي اليوم. هذا و در بدعاة الصحوة أن يقفوا على حقيقة الدعوات الإصلاحية عند هؤلاء الأعلام، لأن هؤلاء يكونوا يعملون لأنفسهم ولا لأوطا م إ م كانوا سون الكيان الإسلامي برمته، والضم الإسلامي ا ي أينما كان، ونظن أن سبب فشل ارب ا عاصرين ال الإصلاح السياسي إ ا يكمن عدم استقراء التجارب ا ماثلة، وا هو د السابقة ال لا تبعد عصرا ولا وطنا.

---

65 أخرجه **البخاري** في صحيحه من حديث النعمان بن بشير في كتاب "الأدب "، ج10 ص438 رقم الحديث 6011.

66 **المنار**، ج 6 ص238.

إن كث ا من الآراء ال جاء ا رشيد رضا هي حاجة إ ث وتفصيل على ا ستوى السياسي، وذلك أن أفكاره ال الإصلاح تبدو صا ة لكث من مشكلات هذا العصر، نذكر منها مثلا:

أ. رير العقل من الأوهام وا رافات والشعوذة، وتنويره بالفكر العلمي والتقدمي.

ب. ارية الشرك وعبادة الأوثان والقبور بالدعوة إ التوحيد والربوبية ا قة.

ج. ارية ا مود والتقليد والكسل وذلك بتفعيل الاجتهاد والفهم السليم للنص.

د. مناهضة الظلم والاستبداد والقهر بالعدل والشورى والتسامح.

ها. الدعوة إ العلم والتقنية الاختبارية، وإشاعة روحها ا تمع الإسلامي.

و. الدعوة إ الصناعة الفاعلة، والتجارة الرا ة، والفلاحة الناجحة.

ز. إصلاح كل أمراض ا تمع ال تفتك به فتكا كالرشوة والزنا والقمار والربا والانتهازية ...

ط. ارية الاستعمار ختلف أشكاله، وبث الوعي السياسي الشرعي الأمة.

كل هذه هي دعوات ومطالب كان رشيد رضا يتحرك إطارها وما نذكره بالاسم فهو يدخل عمومها.

إن الإصلاح الذي يريده رضا هو **الإصلاح السياسي** الذي يتم بالإسلام و الإسلام، وقد يعتقد البعض أن أحسن إصلاح هو الإصلاح الذي يكون على حساب الشريعة الإسلامية وذلك ح معون بينها وب ما خالفها من القوان الوضعية والأحكام العلمانية، فالشريعة نظره وي أصولا جامعة، صا ة لأي إنسان كان أي زمان ومكان، جاءت لتعتق الإنسان من العبودية والظلم، و رره من ا رافات والأوهام والشرك، و ا أ ا آخر الشرائع السماوية على الإطلاق فإنه لا يقبل من أي كان أن يبلغ شيئا باسم الوحي، فيشرع ر ا و ليلا باسم الدين، وا كومة ال تنشأ ا تمع الإسلامي وال تسهر على مصا ا سلم إ ا هي حكومة مقيدة بالأحكام

الشرعية ال تضبط العدل والشورى، وليس لأي كان أن يستبد بالتفس والتحليل باسم السلطة الدينية الروحية، فليست الإسلام سلطة دينية روحية، إ ا تستنبط الأحكام بالعلم والفهم و استقلالية تامة، وهي تتأتى لكل من آنس من نفسه قدرة على الاستنباط و لى بالشروط ال قررها أهل هذا العلم ذا الغرض، لذلك فالعلماء ا تهدون هم سواسية يع أحكام الشرع، وإ ا يتفاضلون بتفاو م العلمي والعملي، ويتفقون يعا على أن الأحكام السياسية وا دنية إ ا تستند على قاعدة: درء ا فاسد وحفظ ا صا وا رص على الضرورات ا مس ال أقرها أهل الأصول والفقه وا قاصد[67].

سادسا: السياسة العامة عند رضا.

نظر رشيد الصفحة السياسية العا ية وا لية من منظور الشريعة الإسلامية، فانتصر للحق ودعى إ الوحدة الإسلامية ورد على الظا وا ستبدين وا لحدين، وأبدع ا مارسة السياسية الإسلامية اصية **التوازن** العمل السياسي، ومن منطلق نظرته ا توازنة ال أكسبته اسكا ا اذ ا وقف سنسلط الضوء على بعض مواقفه من السياسة العامة، وذلك بتقسيمها إ سياست : خارجية وداخلية.

أ. موازنته ال السياسة ا ارجية: وقف رشيد رضا -وهو يعا القضايا السياسية ا ارجية- أمام كتلت : إحدا ا قائمة، صامدة لكنها تعيش اضا من الداخل، والثانية تبدت كقوة جديدة، ها ة، تريد ابتلاع الأو وانتزاع السيادة منها، فالأو هي قوة الدولة العثمانية والثانية هي القوى الغربية. كيف كان موقفه منهما ؟

لا كننا ا ديث عن موقف واحد موحد ال السياسة، لأن عا السياسة هو عا متغ ، وطبعي جدا أن تتغ ا واقف وتتبدل الأقوال، ولقد حاول بعض الباحث أن كموا على الشيخ بالتناقض والاضطراب وهم يعلمون جيدا أن ب القول ا وصوف بالتناقض فسحة من الزمن، وهذه الفسحة كفيلة بأن تتغ فيها أشياء كث ة، ففي 30

67 أنظر **المنار**، ج27، ص 497 – 499.

كانون الثا من عام 1923م كتب رشيد رضا رسالة إ أم البيان شكيب أرسلان[68] يذكر له فيها أنه يرجح الترك على الإفرنج على سلبيا م ظلم العرب واحتقارهم والبغاء عليهم، وكان يطلب أن يعود الترك كمهم للبلاد العربية عوض بقاء الإفرنج فيها[69]، وهذا ا وقف هو ا وقف الأصيل لرشيد رضا وهو ا وقف الشرعي الذي أصله رات كث ة منها أن وجود الإفرنج ديار ا سلم هو كارثة حقيقية دم الأخلاق والعلم والتربية ومصادرة الشخصية ا سلمة، يضاف إ هذا انعدام التجاوب ب أهل البلد وا ستعمرين، وإذا اختار الأتراك فلدواع كث ة منها القواسم ا شتركة الكب ة ب العرب والترك، إن حكم الأتراك هو حكم عريق هذه البلاد ألفه الناس وعاشوا عليه... لكن بعد ثلاثة سنوات من تاريخ الرسالة الأو وبالتحديد سنة 1926م كتب رسالة أخرى لشكيب أرسلان يذكر له فيها أنه يعد مرتاحا للحكم التركي لا سيما بعد أن ظهرت نوايا مصطفى كمال أتاتورك تثبيت دعائم العلمانية كل مؤسسات الدولة بعد أن ظهر خطه ا عادي للإسلام جهارا، لقد أعرب هذه الرسالة السياسية أنه بدأ يرى التسلط التركي على ديار العرب خطرا هو أشد من خطر الإفرنج[70]، وأعتقد أن رشيد رضا وازن ب وقوع نظام ا كم تركيا ت السياسة الغربية وب وقوع بلاد العرب ت حكم الأتراك إذ سيعا العرب هذه ا الة من ظلم مركب: ظلم الأتراك وظلم الاستعمار، فكان لا بد من اختيار ضرر واحد هو ضرر الاستعمار وحده، وهو الضرر ا رجح، لكن كان أمامه اختيار آخر هو ث العرب عن أنفسهم، وتكوين دولتهم ا ستقلة، دولة عربية قوية، قادرة على حكم نفسها بنفسها بعد إجلاء الاستعمار عنها وهذا ما سنراه حديثنا عن السياسة الداخلية.

ب. موازناته ال السياسة الداخلية: السياسة تاج إ الأخلاق لأن الأخلاق افظ على التماسك الفكري، وعلى التوازن التام ا اذ ا واقف من الأحداث ا ارية، واعتقد أن رضا كان على هذه ا صال، فقد حافظ على اسكه الفكري وتوازنه

---

68 ولد سنة (1286 هـ / 1869م)، وتوفي سنة (1366هـ / 1946م)، أول من أطلق عليه أمير البيان هو رشيد رضا، راجع الترجمة الجيدة التي أنجزها له خالد فاروق في مقدمة كتابه **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، القاهرة: دار البشير، بدون تاريخ.

69 الشرباصي، أحمد. **رشيد رضا صاحب المنار: عصره وحياته ومصادر ثقافته**، 1970، ص40-41.

70 أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص435- 436.

التعب عن مواقفه حيال الأحداث، إذا مال إ حركة سياسية معينة برر هذا ا يول، وإذا لى عنها ومال إ ضدها برر أيضا، و كلتا ا الت كان يؤصل آراءه بالشرع، ويستخدم القواعد اللازمة الترجيح وا وازنة، لقد وجد نفسه ب حكومت متصارعت يراد لواحدة منهما أن تكون ا السيادة على أرض ا جاز، و ثل ا كومة الإسلامية ا رتقبة ال كان ينتظرها بشغف كب ، الأو هي حكومة ا جاز بزعامة **الشريف حس** شريف مكة والثانية حكومة د بزعامة آل سعود، و يتمكن رضا من ا اذ موقف مؤيد أو معارض ا ري بينهما من خلاف إلا بعد أن س وضعيتهما، وتعرف على مقاصد ا وصحة ادعاءا ما ال من أبرزها: خدمة الإسلام وا سلم وصيانة الديار ا قدسة، و ا نار ده يبسط لنفسه وللناس موازنة ب ا ركت يستخلص منها ما ي ر ميوله لإحدى الطائفت .[71]

مهما تقلبت الأحداث وتغ ت الظروف فإن رضا كان حاضرا بقلبه وعقله، يصوغ ما ري بقلمه، يسعى من خلال كتاباته النقدية والتقو ية إ التأث الأحداث، وعوض أن يقف موقفا متفرجا كان ينخرط فيها ويوجه ما يراه صائبا وصا ا للبلاد والعباد، وكان هاجسه السياسي هو البحث عن الدولة الإسلامية ال مع شتات ا سلم ، و افظ على التوازن ا نطقة.

تلك هي ملامح عن السياسة العامة عند رشيد رضا، سياسة ذات بعدين: خارجي وداخلي.

سابعا: ا وضوعات السياسية ال تكلم فيها

نع بذلك ا وضوعات السياسية ال تكلم فيها من منظور السياسة الشرعية، وقد اخترنا ا موضوعات ا لافة والشورى والثورة والاشتراكية.

---

71 والواضح أنه رجح حكومة نجد على حكومة شريف مكة، انظر بسط ذلك في **المنار**، المجلد 26-ج6 ص454-477.

موضوع ا لافة: كتب رشيد رضا موضوع ا لافة، وأصدر فيها كتابا بعنوان: "ا لافة أوالإمامة العظمى"[72]، ومعلوم أن موضوع **ا لافة** هو من الكلام ا ظور تداوله ذلك العصر لدرجة أنه كان من ا وضوعات ا منوعة على طلاب الإصلاح من العرب، والسبب أن حكومة الأستانة كانت تراقب كل ا طبوعات، و نع نشر كل كتاب من كتب الكلام والعقائد وا ديث والتفس ال تذكر فيها قضية ا لافة، ح أن ا طابع كانت ذف الفصول والأبواب ال تتكلم ا وضوع إن أريد ذه الكتب أن تروج عاصمة الدولة[73]، لكن ما شأن رشيد رضا كومة الأستانة، فالسلطان عبد ا ميد يعد له من الأمر شيء إلا الاسم، وأن الأمر قد استتب يد الا ادي ، وأن القرار السياسي أصبح قبضة يدهم، أما الشعب الذي هو حاجة إ خطابات سياسية موضوع ا لافة هو الشعب العر ، وأن لرشيد رضا منا ا خاصا اطب من خلاله العرب غ أنه كان يع ا لة ؤلفات مستقلة تتصل با وضوع رأسا، منها كتابه " مد رسول ا "[74] كتابه "أبوبكر الصديق أول ا لفاء الراشدين"، أردفه صنف حول عمر بن ا طاب وعثمان بن عفان وعلي بن أ طالب وا سن وا سـ ، وهي مطبوعة ومتداولة[75].

إن رد مد رشيد رضا للتأليف صدر الإسلام ابتداء من عهد الن صلى ا عليه وسلم إ عهد ا سن وا سـ ليدل على أنه وضع يديه على القلب قضية ا لافة، فالأحداث ال وقعت على عهد رسول ا وا لفاء الراشدين وا سن وا سـ هي أم أحداث ا لافة الإسلامية والأزمنة ال عاشوا فيها هي الأزمنة ا فضلة وا باركة زمن ا لافة الإسلامية، والأمكنة ال عاشوا وماتوا فيها هي الأمكنة ا قدسة ال ظى باهتمام ا سلم ورعايتهم ح أن حركة الانفصال عن الإم اطورية العثمانية إ ا ظهرت ا جاز، أما فتاواهم وأحكامهم واجتهادا م وأقضيتهم وما خلفوه للأمة من سنن فهو زاد لكل من يتو ا لافة أو يعمل با ها، لكن ا كمة من هذا كله هو تذكر ا سلم ياة

---

72 درينقة مرجع سابق، ص32.

73 كوثراني، وجيه. مرجع سابق، ص204.

74 **محمد رسول ا صلى ا عليه وسلم،** كتاب جامع في السيرة والسنة والسرايا والبعوث والفتوح والشمائل والدلائل إلى غير ذلك، يدل على تألق صاحبه في معرفة الفنون الإسلامية الأساسية، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1949م.

75 أنظر مقدمة كتابه **أبوبكر الصديق،** ص3-4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

ا لفاء والأبطال السياسي ا خلص لأحكام الشريعة الإسلامية لتبقى حية الأسفار والقلوب، وحاول رضا -بقدر ما أو من علم وفهم وتدقيق- أن يصور شخصيا م بصورة جلية واضحة، تبقى حية ماثلة أمامهم أي عصر، وباعثة مهم، وقدوة تذي ا الأبناء حسن البلاء، طلبا للإقدام، ودرءا للتو والإحجام، رفعة للشأن، ورغبة الص والإخلاص، ذلك أن نشر التوحيد والعقيدة الصحيحة تاج إ التضحيات ا سام، والقضاء على الوثنية والشرك يتطلب العز ة وا مة، أما نشر العدل والفضل فلابد ما من الإ ان الراسخ والوجدان الصا .

موضوع الشورى: الشورى هي عصب ا كم، وشريان العدالة الإسلام، لا يستقيم ا كم إلا ا، لذلك أولاها رشيد رضا أ ية بالغة مقالاته، ولقد لقيت نظرياته ال الشورى قبولا واسعا لاستهدافها اربة الاستبداد الفردي الذي يسود نظم ا كم الأقطار العربية ال تعيش ت ظل الإم اطورية العثمانية، و ا يدل على أن آراءه ال الشورى انتشرت بصورة كب ة جعلت الدولة العثمانية تقف ضده متخذة ذلك إجراءات صارمة، منها: منعه من الوصول إ الأراضي العربية ال كانت خاضعة كمها، ومضايقة إخوة رشيد رضا القلمون، وحاول جواسيسها ريب مكاتب ا نار القاهرة.

وقد استمرت هذه ا ضايقات على رشيد رضا وأسرته ح إعلان الدستور عام 1326هـ ا وافق لعام 1908م[76].

وبالروح نفسها ا رط رشيد رضا أول حزب سياسي أسس مصر ا ذ له اسم **حزب الا اد الشوري، و**كان واحدا من مؤسسيه، والغرض من وجوده فيه هو تبليغ فكرة الشورى إ الشعب، وتعليمها إياهم، أما ا راطه ا زب فيدل على اولة ارسة السياسة بطريقة شورية، لكن ا زب يذهب بعيدا لأنه كان يضم ب جناحيه فرقت تلفت : فرقة من **الاستقلالي** الذين يطالبون بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية، وفرقة من **الاحتلالي** الذين يرون بأن الاستقلال إ ا ينب على مساعدة أجنبية تعلم

76 كوثراني، وجيه. مرجع سابق، ص14-15. وانظر محمد أحمد درينقة، ص32.

الشعب ا كم الد وقراطي النيا وتقوده و العدالة، ورضي ذا الاختلاف والتناقض لأن فكرته كانت ناصعة وواضحة جعلت أكثر نصارى العرب ينسحبون من ا زب[77].

و ا ظهرت حركة **تركيا الفتاة** ال قاد ا **عية الا اد والترقي،** واتسع صداها ا ارج، وأصبحت ا فروع تابعة بادر رشيد رضا بتأسيس عية تدعى **عية الشورى العثمانية** ردا على علمانيتها و للها وإهانتها للعرب والإسلام، وقد مكنته هذه ا معية من إصدار مقالات ا كم الاستبدادي ا طلق وما جناه على الأمة، و ا بشر الانقلابيون **با ياة الدستورية** كتب رشيد رضا مقالات كث ة يهلل فيها **بالدستور،** ويعد الأمة بغد سياسي أفضل، وألقى خطبا كث ة هذا الشأن معت ا أن يوم إعلان الدستور هو يوم عيد للأمة، وأنه نعمة من نعم ا على ا سلم ، وقد أضفى عليه رضا طابع الشرعية ح قارنه مع نظام الشورى الإسلامي، فالدستور يشبه نظام الشورى لأنه د من نظام ا كم الاستبدادي، ويلغي نظام ا كم ا طلق، يقول: "إن القوم الذين يرضون أن يستبدهم حاكم يفعل فيهم ما يشاء، و كم ا يريد ينبغي أن يعدوا من الدواب الراعية، والأنعام السائمة"[78].

ولا يشك رشيد رضا أن مقاومة الاستبداد وإنشاء ا الس النيابية والدعوة إ كيم الشورى وحكم العدل إ ا هي أمور استفادها أهل مصر من معطيات ثلاثة:

الأول: الإسلام وشريعته السمحة، فنصوصه وتار ه حافل بالتجارب والأحكام ا اثة على ذلك.

الثا : عا ان جليلان، كان ما دور كب ريك النظرية السياسية الإسلامية بصفة عامة، ونظام الشورى بصفة خاصة أ اء العا الإسلامي، و ا: ال الدين الأفغا و مد عبده.

الثالث: الاختلاط بالأوربي ، فلولا الاختلاط م ا تنبه ا سلمون إ حا م، فإذا كان الأفغا وعبده قد أتيا ا عجزت الأوائل عن الإتيان ثله فإن الشعوب الإسلامية

---

77 كوثراني، وجيه. مرجع سابق، ص246 – 247.

78 المصدر السابق، ص97.

كلها تنبهت على اختلاف ا اها ا إ خطر الاستبداد عليها، وسوء العاقبة الـ من ا كم ا طلق فالاستعمار له دور ا وقظ وا نبه من الغفلة العظيمة الـ أصابت ا سلم [79].

الثورة: بقدر ما كان ال الدين الأفغا (ثوريا) "يرى الثورة هي الوسيلة الأجدى والأفعل لبلوغ الغاية الـ حددها كإستراتيجية لشعوب الشرق ذلك ا "، وبقدر ما كان مد عبده (إصلاحيا) "يرى أن التدرج الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن قيق هذه الغاية، وأن التربية ا ستندة إ الدين بعد ديده بواسطة ا ؤسسات التربوية ا ديدة وكذلك ا ؤسسات العتيقة بعد إصلاحها هي السبيل الوحيد لبلوغ غاية الشرق التحرر الفكري والتحرير السياسي"[80] كان رضا مع بـ الثورة والإصلاح فيما كن أن نسميه **بالإصلاح الثوري** أوالدعوة إ **"الثورة الإصلاحية"** لأن الثورة والإصلاح نظره أمران متلازمان لا يتحقق ا دف إلا ما، جاء ذلك نتيجة عه بـ أسلوب شيخيه، كما أن واقع ا رحلة لا يسمح سوى با مع بـ هذين الأسلوبـ ، لأ ما عنصران فاعلان التغيـ السياسي الذي كان رضا يطمح إليه، ومن خلال مقالاته الـ مارس بعضها ريضات سياسية قوية ضد الا ادبـ الأتراك ا ستبدين من جهة، وضد ثورة شريف مكة، وضد الاستعمار بكل صوره وأشكاله، وضد القوميـ ا سيحيـ ا طالبـ بالوصاية الفرنسية أو الإ ليزية أو الأمريكية تظهر ثوريته جلية وواضحة، لكنها ليست ثورة جارفة، ساخطة على الوضع سخطا تاما كما كان حا ا عند الأفغا ، بل هي ثورة من النوع ا ستساغ، إنه يثور با عا ة ا ادئة، وبالتقو الرصـ ، وبالإصلاح ا تـ الذي يدعو إ تغيـ الوضع من حال الظلم إ حال العدل، ومن حال الاستبداد إ حال الشورى والد وقراطية، ومن حال التمزق والتشرذم إ حال الوفاق والا اد والتآخي، ومن حال ا هل والتخلف إ حال العلم والتقدم وا دنية... هكذا تكون الثورة واضحة... ويكون التغيـ الذي يرمي إ قيقه ا إ ابيا ومقبولا، فالأزمة كانت عامة وشاملة، والأحداث تتوالد بكيفية فجائية وسريعة... وهذه كلها تدفعه إ ا سا ة تغيـ ها ا يراه ملائما.

---

[79] المصدر السابق، ص98-99.

[80] عبده، محمد. **الأعمال الكاملة لمحمد عبده – الكتابات السياسية**، تحقيق وتقديم محمد عمارة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972م، ص37.

نعود هنا إ صلة الثورة **بالشعب** حيث نلاحظ أن الأفغا كان يثق با ماه والعامة وحدهم دون غ هم، لأن هؤلاء -حسب تصوره- هم أداة التغي ، وهم ا الكون للقدرات ا ارقة والضرورية ال يتوقف عليها قلب الوضع، أما مد عبده فإنه كان قليل الثقة با مهور، ولا يراهن عليه كث ا التغي ، لأن عبده يدعو إ منطق آخر تلف عن منطق الثورة عند الأفغا ، وذلك من منطلق إصلاحي يركز على الذات ا لمقية، الذات ال تؤمن بأ ا هي ا رك لأحداث التغي ، لذلك أسقط عبده من حسابه ا مهور[81] ولا سيما ا رحلة الأخ ة ال ترك فيها السياسة، وقد تركها لتلميذه رشيد رضا الذي شرع فيها مباشرة بعد وفاة الأستاذ الإمام.

إن ا مهور الذي تركه عبده هو ا ال الذي رك فيه رضا، وقد رك فيه بطريقة إ ابية وفاعلة جلة ا نار ال خاطب ا الشعوب قاطبة بلسان العلم والوعي والفهم والثورة والإصلاح والتربية... فا نار هي لة **ثورية سياسية اقتصادية ثقافية اجتماعية فكرية وعلمية،** وكان ا طاب السياسي هو ابرز خطاب كن للمرء أن يتلذذ بثمراته ا نار، خطاب سياسي ثوري على طريقة أهل الفقه الشرعي، يقارب ويسدد، ويوازن و هد، إذا ظهر له أن هذه ا هة هي أقرب إ التأييد وا ناصرة فعل، وكان يعدل عن رأي قاله بالأمس إ رأي رأى صوابه اليوم، وتدلنا خطبه السياسية[82] على أنه كان معترك الوقائع السياسية ا ساسة، و مواقع الثورة والتغي ، مصاحبا للثوار وناصحا وموجها ومرشدا.

الاشتراكية: عاصر رشيد رضا ظهو ر الثورة الاشتراكية الشيوعية روسيا عام 1917م، وعاش امتداد شعارات هذه الثورة ومبادئها إ العا الإسلامي، وبدأت تتكون "**قومية عربية اشتراكية**" جديدة ترفع لواء الاشتراكية العا العر والإسلامي، وتدين بالولاء فاهيم الثورة و بادئها، يقتنع رشيد رضا بالضجة النقدية ال أث ت ضد الاشتراكية، وهي الضجة ال قاد ا الدول الأوربية الرأ الية ا ائفة من ا د الاشتراكي والشيوعي الذي يعطل مصا ها ا نطقة، وقاد ا أيضا كل من الطبقة الأرستقراطية

---

81 المرجع السابق، ص38 و51.

82 راجع على سبيل المثال **مختارات سياسية من مجلة المنار**، ص133 و231-238.

روسيا الوفية للنظام القيصري ا نهار، والطبقة الغنية ا تحكمة السلطة البلاد العربية، أدار رشيد رضا وجهه عن كل هذه الا امات، وبادر إ البحث وا طالعة وتقصي حقائق الاشتراكية بنفسه فوقف على حقائق عدة، منها أن ا بادئ وا قوق ال نادت ا الاشتراكية كث منها موجود الشريعة الإسلامية، ولو عاد عقلاء هذا ا ذهب إ الإسلام لوقفوا على قضايا كث ة هي من ء ما يدعون إليه، كما أ م سيقفون على أمور كث ة طر م على بال، لأجل ذلك خاض مناقشة مبادئ الاشتراكية ودعو ا إ سعادة البشرية، غ أن ليلاته النظرية للاشتراكية كانت مصحوبة ببنود الشريعة الإسلامية، وكانت رؤيته إليها تتم وفق معطيات السياسة الشرعية وأصو ا.

إن تطبيق السياسة الاشتراكية أوتطبيق أي مذهب آخر إ ا الغرض منه هو قيق **سعادة الأمة،** لكن للأمة مقومات عقدية وروحية و ا تقاليد وأعراف وعادات هي من ء هذه العقيدة، ولن تكتمل سعاد ا إلا بسيادة هذه العقيدة ا تمثلة **السياسة الشرعية** ال جاء ا الإسلام، زد على هذا أن كل ما كن أن يتصوره الإنسان من الأمور ال توفر السعادة للإنسان خارج الإسلام هو موجود الإسلام، وهذا ما اعترف به غ واحد من الغربي ، فقد ذكر رشيد رضا ا نار أن **ليون روش** -وهو سياسي فرنسي- اعتنق الإسلام لأنه وجده يدعو إ الاشتراكية والعدالة الاجتماعية، وذلك فرضه للزكاة على كل ذي مال حيث أباح للفقراء حق أخذها غصبا إذا رفض الأغنياء دفعها طوعا[83].

خا ة:

هذه ملامح عامة عن الإصلاح السياسي الشرعي عند الشيخ مد رشيد رضا حاولنا من خلا ا أن نكشف عن ا ؤهلات ال ساعدته على طرق باب الإصلاح، وكذلك الوسائل والطرق ا ختلفة لبلوغ هذا الإصلاح، وهي نظرات عامة حددت موقعه من الظاهرة الإصلاحية ال عرفها عصره السياسي، وأبانت عن عمق فهمه للفقه السياسي وإدراك سبل إصلاح القضايا العامة للأمة من خلا ا، وذلك برؤية اجتهادية تستخدم

---

[83] **المنار**، ج 7،ص519- وانظر درينقة، ص 73-80.

الأوجه العلمية والفنية ا وضوعة ذا الغرض، رؤية إ ابية تب على الفهم الشمو والنظرة ا وسوعية والأسلوب ا يد وا عا ة ا رنة.